

بركة ميلاد النبي محمد

بقلم: الإمام العلامة علي جمعة مفتي الديار المصرية

لقد صاحب ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بركات ومبشرات أصابت من حوله في زمانه، ونرجو أن تنزل على محبيه ومتبعيه في زماننا هذا بركات ونفحات في ذكرى مولده الشريف الذي كان نورا ورحمة من رب العالمين على خلق الله أجمعين.

بركته على قومه:

تمثلت في الكشف عن بئر زمزم، الذي طمر قبل ميلاده بسنين عديدة، فكانت تتحمل قريش خلالها المشاق في حمل الماء وجلبه إلى الحرم وما حوله، خاصة في موسم الحجيج الذي تفد فيه قبائل العرب وزوار البيت، وهذه المهمة كانت تسمى بالسقاية.

حتى رأى عبد المطلب جد النبي رؤيا وهو نائم في الحجر تأمره بحفر زمزم، وفيها تحديد لمكانها الذي دفنت فيه عند منحر قريش.

وفي ذلك ربط بين إسماعيل بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله عليهما السلام، فإسماعيل ظمئ وهو صغير فالتمست له أمه ماء فلم تجده فتفجر عند قدمه ماء زمزم فكان بداية أمره، وكذلك فإن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كان بداية أخرى لهذه البئر المباركة، فكان مولده بركة على قومه.

بركته على أبويه:

كان للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بركة على أبويه إسماعيل بن إبراهيم وعبد الله بن عبد المطلب، فقد كانت نجاتهما من الذبح بإذن الله بمعجزة، وذلك حتى يخرج من نسلهما رسول الله سيد الخلق، فدى الله تعالى إسماعيل بذبح عظيم؛ قال تعالى: **{وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ}** [الصّافات: ١٠٧]، وكانت نجاة عبد الله من الذبح آية أيضا، حيث كان سيذبح في وفاء عبد المطلب بنذره، فألهم الله القبائل أن تفديه بمائة ناقة، فلما كبر وتزوج آمنة بنت وهب، أنجبا محمدا عليه الصلاة والسلام، فهو ابن الذبيحين.

ولم يلبث أبوه عبد الله أن توفي بعد أن حملت آمنة وترك هذه النسمة المباركة، ودفن بالمدينة عند أخواله بني عدي بن النجار، وكان القدر يقول له: قد انتهت مهمتك في الحياة، وهذا الجنين الطاهر يتولى الله عز وجل بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

بركته على الكعبة المشرفة:

ففي عام مولده الشريف أتى أبرهة الحبشي- منتقما من العرب وحالفا أن يهدم لهم بيتهم المعظم الكعبة، وسار بجيش جرار بكل العتاد الممكن، وأحضر- معه فيله لأجل هدم البيت، فجاء عبد المطلب إلى قريش

فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في شعف الجبال والشعاب، ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده. وجاء أبرهة وتهايا لدخول مكة، وهيا فيله وعبى جيشه، فبرك الفيل فضر به ليقوم فأبى، فضر به في رأسه فأبى فأدخلوا محاجن لهم في مراقه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن، فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك.

وأرسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك وليس كلهم أصابت، فخرجوا هارين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا.

وقد نزلت بشأن هذه الحادثة سورة باسم الفيل تذكر قريشا بفضل الله عليها ورحمته.

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} [الفيل: ١-٥].

بركته في بيت أبي طالب:

لما مات عبد المطلب جد النبي وكان قد عهد إلى أبي طالب برعاية ابن أخيه محمد، وكان أبو طالب رجلا فقيرا وله أولاد كثير ولا يكادون يشبعون جميعا من طعام، فلما كفلوا رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بينهم صارت البركة في بيتهم وفي حياتهم وفي كل شيء حتى الطعام، وأحس أبو طالب ببركة محمد فكانوا لا يأكلون إلا وهو بينهم، لأنهم حينئذ فقط يأكلون ويشبعون ويفيض الطعام عليهم.

وفي حادثة أخرى لما أقحطت مكة سنة من السنين وواجه الناس جفافا شديدا، فأهرع الناس إلى أبي طالب يطلبون منه أن يستسقي لهم، فأمرهم أن يأتوه بابن أخيه محمد، فأتوه به وهو رضيع في قماطه، فوقف تجاه الكعبة، وفي حالة من التضرع والخشوع أخذ يرمي بالطفل ثلاث مرات إلى أعلى ثم يتلقفه وهو يقول: يا رب بحق هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا دائما هطلا، فلم يمض إلا بعض الوقت حتى ظهرت غمامة من جانب الأفق غطت سماء مكة كلها، وهطل مطر غزير كادت معه مكة تغرق.

فأنشد أبو طالب قائلا:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه يلوذ به الهلاك من آل هاشم

وأصبح فينا أحمد في أرومة حلیم رشید عادل غير طائش

ثمال اليتامى عصمة للأرامل فهم عنده في نعمة وفواضل

تقصر عنها سورة المتناول يوالي إلاها ليس عنه بغافل